دُسْتُ ظلًّا فانْتبَهْت

دُسْتُ ظلًّا فانْتبَهْت

إبداع أدبى

شعر

المؤلف

محمد حربى

الطبعة الأولى: 2018

رقم الإيداع 236 / 2018

لوحة الغلاف:بول كلى

تصميم الغلاف:مها شهبة

دار هن elles

٥ش الطيبرسى – القصر العينى – القاهرة

تليفون:0223682023

الايميل:kaggen1900@gmail.com

دُسْتُ ظلًّا فانْتبَهْتُ

محمد حربي

مُتَسرِّعًا كعادتِهِ
قَفَزَ ظلِّي،
وتَردَّدْتُ..
فنَجَوْنا أنا والماء...

إلى هشام حربي
قال لي: لا تقم في الظل
لكنني عصيت

هويّة مُخاتِلَة

"أيّها الحطّاب.. اقطعْ ظلّي
خلّصني من العذاب...
من رؤيةِ نفسي دونَ ثمر"

لوركا

حياةٌ أولَى

رفَضتُ في الحياةِ الأولى
أن أكونَ نَهرًا
كي لا تُجبرَني الجُغرافيا
على تَعاطي المِلْحِ كلّ يومٍ
في مَصَبِّ الأبدِ

هُويّة

صِرْتُ شُرفَةً
وطريقًا، وبحرًا في المُتَناوَلِ
وخُطوةً حائرةً
بين النَّوافِذِ والظّلالِ
أنا جَمْعٌ كثيرٌ
في لوحةِ المُفرَدِ المُنعَزِلِ
وظِلّي على الماءِ
كَثرةُ الواحدِ المُتَعَدِّد

صُورَتي

أنا ناسِخُ نصوصٍ من فُيوضِ الغَمامِ
ولستُ شاعرًا
فقد انتهَتْ النّبوءاتِ
وعُدْتُ وحيدًا بِمِعراجٍ كَسيحٍ
***
أنا قصيدَتي وخارجُها أتفرَّجُ على صورتي
أنا صورتي وخارجُها قصيدةٌ تكْتُبُني
على مقهىً يُجاورُ البحرَ

***

أنا مِرآتي.. وداخلُها صورةٌ
تُقلِّدُ صَوْتي، وتَنسخُ قصيدَتي

***

أنا ظلِّي، ومن يمشي فوقَ النورِ
شيطانٌ يُشبهُ صورتي ويَحتسي خمرَ قهَوتي
ليمنعَني من الكتابة

***

أنا كاتبُ الوَصيّة، وصاحبُ الجُثّةِ
والحروفُ التي تُزَيِّنُ واجِهَةَ المَقبرةِ
تَرسُمُ اسْمي
فلماذا أَرَى في القَبرِ صَمْتًا لا يُشبِهُني
يقرأُ الفاتِحَة

هُويّة قَديمة

صقرٌ حرٌ يحلُمُ بأن يصيرَ نورًا
وشبحٌ يُفتِّشُ عن طائرٍ
فقَدَ شَكْلَهُ في لحظةِ النومِ
نجمةٌ تلمَعُ في طريقِ الإلهِ
قالَ لي حجَرٌ يَلُمُّ الحَصى من أمامِ جسدٍ،
يرتعشُ بالفَناءِ:
خُذْ كتابَكَ بِقوَّةٍ
واعْبُرْ الجسرَ قبلَ اكْتمالِ أُغنيةٍ في السماءِ...
لكنّني بَقيتُ
وأخفَيْتُ جَناحي بعيداً عن قريني

عُدْتُ صحيحاً

وزَّعْتُ أعضائي كُلُّها
على معوزين تائهين في الميدانِ
وكلابٍ ضالةٍ
وأشجارٍ فقدَتْ قُدرَتَها
على الإنجابِ
وعُدْتُ صحيحًا بلا ثمَرٍ

خُلود

كُلَّما كَتَبْتُ مَرثِيةً
غيَّرَ البحرُ سراويلَهُ كُلَّها
وانْتَظَرَ النهرَ عِندَ البابِ
ليَفتَحَ نافذةً لطَمْيٍ مُتْعَبٍ
يَسعى لِخُلودِ المِلْحِ
أشربُ الماءَ لأطردَ الِملحَ
وتستمرَّ لُعبةُ الحياةِ
لكنّ النهرَ ضريرٌ
يذهبُ للمِلحِ طَواعِيةً
يُفَتِّشُ عن خلودٍ ما

مِهْنَتي

صارتْ مِهنَتي
رتْقُ طرُقٍ تَفِرُّ من ثُقوبِها الظّلالُ
أُخَزِّنُ في أحلامي ظِلالاً لطُرُقٍ عاريةٍ
أصابعُها جسورٌ خشبيةٌ
وأقدامُها جذوعُ نخْلٍ
وخَصرُها يَضيقُ كأنّهُ قصيدة لا تَرى
فيصْحو العابرون على غُبارٍ في الظهيرةِ
يتَهَجَّى الظمأَ، ويَحفَظُ أنسابَ الخُطى
رُبَّما يعودُ حذاءٌ من غُربَةِ الطُّرُقِ

أَرتُقُها وأَمضي

صارتْ مِهنَتي رتقُ الظِّلالِ
ومهنةُ الظلالِ رَتْقُ الخُطَى
والخُطى مَشغولَةٌ بِرُقْعَةٍ في الطّريقِ
تَرْفُوها على مَهْلٍ
ومِهنَةُ الطّريقِ حِفْظُ الأثَرِ
لكِنَّنا تَواطَأْنا على النِّسيانِ
فصعَدَ عاشقٌ إلى شجرةٍ، وشاعِرٌ إلى جدارٍ
يرتقان السماء
كي لا يسقط شهيد على جنازة تعود
*هلْ كُنتَ تُؤَدّي الأدوارَ كُلَّها ؟
**كُنتُ أَرتُقُها وأَمْضي ..

طَريقَة

ولِي عِند التَجَلِّي طَريقَةٌ
أَفتَحُ نافذةً بالنَّهرِ
لِتَمْرُقَ الثّعابينُ تصطادُ طُيورًا سابِحةً
وفي الشّمسِ مَجرىً للغُيومِ
وأَبني لي كُوخًا في سَحابةٍ
فمَنْ يُوقِفُ خُطوَتي التي
غَرَسها مَثّالٌ في المرآةِ
ونَسِيَنا...

ظلّ القطب والطريقة

لو كنتُ ابنَهُ لاستخدمتُ فأسًا فرويديةً
للنَّيْلِ من قصائدِه
وقطعتُ جذورَ السلالةِ في أمشاجِ الطين
لكنني ظلٌّ رضيَ بالمُقام
أشاكسُهُ فأسبقُهُ إلى الحقلِ
نروي ظمأَ حشائش الشعر في طمي الكلام

هو يقيمُ في الإيقاع نبيًا للموسيقى
وأنا أفرطُ الإيقاعَ نثراً حانياً كبساطٍ
لفقراءِ الروحِ في الغيطان
وأحصي قتلى الطين من "متفاعلن" بحرًا بحرًا
ثم أجيءُ بعدَه لألُمَّ ما يبقى من صورِ الغروبِ
في مرايا العيون
وأمدُّ الظلّ حتى يقتلونا معًا

صَدَى

لستُ ظلًّا
كما أخبَرَتْني كتبٌ مقدَّسة
في ترابِ مكتباتٍ
أنا صَدَى صوت الرَّبِّ ونفخَتُهُ ولا ينفخُ اللّه ظلاًّ
كما أخبرَتْني كتبٌ مُقدّسةٌ في قلوبِ عابرين
وليس للسماءِ أن تفُحَّ سوى
كينونةٍ كاملة
فأين إذن ذهبَ جَسدي
وأيّةُ مَركَبَةٍ تُبْحِرُ الآن في البحرِ السَّحيق؟

نُبوءَتي

يبعثُ اللّهُ الرّسلَ
ثمّ يرسلُ خلفَهم آياتٍ وكتبًا مقدسة
ليسندَ خَطْوَهُم فوق ظلٍّ يراوغُ
تلقَّيتُ من الملَائكَة وَرَقَتيْن
نَسيتُهُما منذُ خمسينَ عامًا
تحتَ تَكْعيبةِ العِنَبِ
فَلَمْ يَتْبَعْني أحَدٌ سِوَى قَصيدةٍ
وظلٍّ وَحيد يرْتَبِك

مغفِرَة

رَوَّضْتُ نَهريْن على الغِناءِ.. وعُدْتُ حافيًا
رَوَّضتُ قَمريْن على البكاء.. وعُدتُ عاريًا
رَوَّضتُ حجَرًا.. ورفَعْتُ حنْجَرتي صَنَمًا للعابرين
فعَمَّدوني شاعرًا...
أطلَقْتُ في الحقولِ صمتَيْن
فغَرَّدَتْ بلابلُ متقاعدةٌ نَشازَها تحتَ ظِلّي
فَعُدْتُ للنَّهرَيْن، والقَمرين، والحَجَرِ المُغَنِّي
أَسْتَرِدُّ نَعلي وظِلّي، وأُرَوِّضُ جُرحي
ثمّ أَطْلُبُ المَغفِرَةَ

مَنْطِقُ الطّيْر

ليُثْبِتَ أنّهُ شاعرٌ مَزّقَ طائرًا
وجعلَ على كلِّ قصيدةٍ رُمْحًا
ونادَى في المدائنِ
ونَسيَ في عجَلَةِ النُّبوءَةِ
أنّ الطيورَ أيضًا شاعرةٌ
فلمْ يَصْدَحْ مرَّةً أُخرى
وتَرَكَ للطَّيرِ فرصةَ الفَرارِ
ولم يَسلُكْ طريقَ السَّالكين

قانونُ الظلِّ وشرائِعِه

(ثم جعلنا الشمس عليه دليلا)
قرآن كريم

قواعدُ الظلِّ الخَمْس

-١-

خَيّرَني بين الفراغ والصمت، فاخترتُ ظلِّي
فنبتَت لي أجنحةٌ مُلوّنةٌ تَعزِفُ الموسيقى
ورقَصْنا على جدارٍ مُجاورٍ ما تيسَّرَ من ضياء

-٢-

فوق كَتِفي يَنعسُ مَلاكان
تَعِبا من إحصاءِ صَمتي، وإطفاءِ الظّلالِ

-٣-

التاريخُ يَسبقُ القصيدةَ بغيمةٍ
لكنهّا تَبقى بعدَهُ بِظِلَّيْن

-٤-

سأُغْلِقُ إحدى عَينيَّ للأبدِ
فما حاجَتي لِظِلَّيْن على طريقٍ بعينٍ وحيدةٍ

-٥-

كيفَ حالُ قصيدَتُك؟
ظِلِّي ليسَ بِخَيرٍ
والشياطينُ الشّاعرةُ مَشغولةٌ بتغييرِ الحَرَسِ
على تُخومِ المَملكة
فانْتَظِروني ريْثَما أُغَيِّر غُيومي الداخلية
قبلَ أن تمطرَ الظلالُ أشجارًا عوانسَ

دُست ظلًا فانتَبَهْت

”لا تطأ على ظل إنه نظرة نائمة“

وديع سعادة

دُستُ ظلاً فنفَقَتْ أسماكٌ
كانت تَنتظرُ الموسيقى
تحتَ جِسرٍ مُهَدَّمٍ وهي عاريةٌ
***
دُسْتُ ظِلًّا فَفَرَّتْ عصافيرُ
وبقيَتْ جمّيزةٌ تُغنّي وحدَها
على حافَّةِ جسرٍ مَثقوبٍ
فوق ماءٍ ضريرٍ

***

لَعِبْتُ معَ ظِلِّي فخَسِرْتُ مَعركتي
مع قطارِ الصباحِ
وتَسوَّرتُ المحرابَ في الظهيرةِ
فوق ظِلِّ قطارٍ
نَسيَ حقيبَتَهُ على المحطَّةِ
ولمّا تثاءبَ ظِلٌّ تحتَ جسرٍ... عَبَرْتُ

***

دُسْتُ ظِلًّا فاستَيقَظَتْ ملائكةٌ
من قَيلولَتِها وبدأَ الحسابُ
وأبي ينتظرُ قَدَمي بحَبْلٍ غليظٍ
وعَصا لا تنَبحُ

***

دُسْتُ ظلّاً
فَنَبحَ الصمتُ بِعَينين مُغلَقَتين
وفَقدْتُ أثَري
هاجمَتْني أشباحٌ
فقُمْتُ من الحُلمِ
بعَرَجٍ يبحثُ عن ظلٍّ مُستقيم

***

هاجَمَني ظلٌّ ثمّ غَرِقَ
والجسرُ أمامي مُمتدٌّ ولا بحرَ هناك
ولا نهرَ يَعبُرُ في كُرَّاسةِ الرَّسمِ
مُتأبِّطًا ذراعَ كُثبان
بخُضرَةٍ شاحبَةٍ
ووَشْمٍ صغيرٍ

***

دُسْتُ ظِلًّا فَقُمْتُ من الحُلمِ
وأغلَقْتُ عيني
لكي لا أرى قطارًا يعبرُ الجسرَ
بأشباحٍ فوق ظهرِهِ يُلَوِّحون بالوَداعِ
كظِلالٍ مُسْتَقيلةٍ

***

توقّفَ المطر
عن رضاعةِ النورِ من مصباحِ الطريق
ورعشةِ الخُطى المرتبكةِ
وانتبَهتُ لِقَطرةٍ
تَغرَسُ ظِلًّا كَنَظرةٍ نائمةٍ
لتُحاكِي قصيدةً بِتَنُّورةٍ قصيرةٍ
بين النورِ والكِتابِ
وتُعَرّي ظماً ناعسًا في الجذور

فأغلَقْتُ الكتابَ
لألحقَ قطارَ الرحيلِ بنظرةٍ حائرةٍ
***
دُست ظلًّا فتوقَّفْنا أنا والطريقُ
عن القراءةِ
وصعَدنا ننسخُ النبوءةَ
في قطارٍ بلا ظلٍّ
***
قامَرْتُ بآخرِ ظلٍّ مَعي
فخَسِرَتْ غيمةٌ ريشَها
كانت تبحثُ عن بقعةٍ تستريحُ فيها
من سقوطِ مطرٍ خارجَ الذاكرةِ

ظلٌّ كافِر

ليسَ مُؤمِنًا بالشمسِ
وليس كافرًا بي
قرينٌ مُشاكسٌ يعشقُ الليلَ
يبحثُ عن سيرَتِهِ في أعقابِ خُطوتي
ويفِرُّ من العَسَسِ في انْكسارِ النُّورِ
على حافلةٍ طائشةٍ

أعلنَ كُفْرَه بالشمسِ
وحرّضَني على اعتِناقِ العَتْمَةِ
دينًا جديدًا للظّلالِ
خِفْتُ أن أصبحَ شبحًا فقَسَمْتُ ظلِّي
بين الشمسِ وعمودِ الضوءِ
ووَقفْتُ بعيدًا أُحْصي تَفْعيلاتِ الحَصَى
الذي لا ظِلَّ لَه
وأُراقبُ جَرَيان الماءِ
بعيدًا عن ظلالِ الشجرِ

أشباح

كلُّما قَتَلْتُ ظِلاً
ناحَتْ أُغنيةٌ في المهْدِ
وكهلًا فوق صليبِ المَعنى
أعودُ...
يَصعدُ الظِلُّ بَعْدي
بلا حَشرجاتٍ تُصيبُ القلبَ على الدرج
وفوق جدرانٍ، لا يراها سِوانا، يَصعدُ
وأنا بين السَّقفِ والبابِ
أنتظرُ الغَمامَ والخُضرةَ الهاربةَ

وأطرُدُ أشباحًا على العتبةِ بظهورٍ مَحْنِيَّةٍ
تَحمِلُ ظِلالًا نافقة وصليبًا يَتيمًاً
***
يَحسبُهُ الظَّمآنُ ماءً، وأنا غير بعيد
أحْتَسي أشعةً تَتحرَّشُ بالتراب
***
قُلْتُ لِظِلِّي: أمَا تَعِبْتَ من المسيرِ ؟
فتوقَّفَ قليلًا ولم يُعَقِّبْ
فترَكْتُهُ على بابٍ مُغلَقٍ
ودخَلْتُ مُسرِعاً إلى فَراغي

حجرٌ مسروق

قال لي من عِندَهُ سِرُّ الحقول:
اقْتلْ "ضِلّك" أولًّا.. ثم حارِبْ
فإنَّهُ جاسوسٌ للشمس
قُلْتُ: والجدارُ ؟
غادَرَني وحيداً
ولم أهْتَدِ لِجِذعِ الماءِ في الأرضِ "الشراقي"
***
ظلَلْتُ أُهدِّدُ ظلِّي بالخروجِ إلى الشمسِ
فهربَ مِنِّي إلى جدارٍ ثمّ اخْتَفى
ولما أفْلَتَ قطعَ طريقَ عودتي
حجرٌ مسروق

يُشبِهُ تِمثالًا

كانَتا رتْقًا
وكنتُ مُفرَّقًا بين النجومِ
طلَعَت في الأفقِ أصْداءُ دوَرانٍ
وطوافُ أحجارٍ ولهَبٍ
واحْتَكَّتْ سماواتٌ بسماواتٍ
وتفرّقْن على غُبارٍ كثيفٍ
فعُدْتُ من رُؤيايَ
بعرَجٍ خَفيفٍ في نعلِ ذاكرَتي
وظلٍّ قديمٍ يُشبهُ تمثالاً

إشارَةٌ خاطئَة

التمثالُ الرَّابضُ عند مَدخلِ الميدانِ
لم يفهمْ لُغةَ الظِّلالِ
التي ترقصُ حولَ الكعكةِ الحجريةِ
فأفسدَ سِفْرَ التَّكوين
بإشارةٍ خاطئة

عودَةُ الظلُّ إلى صِباه

إلى مها

جاءتْني قصيدَتي تَسعَى
أزاحَتْ الرَّملَ من آباري كُلِّها
منَحَتْني قُبْلَةَ النّعناعِ
لأتَذَكّرَ طَمْيي فلا أضِلُّ ولا أَشْقَى

زَمِّليني بِعَباءَةٍ من غُيومٍ
وأشجارٍ من ضياء...
دَثِّريني
فأنا على شَفا حُفْرَةٍ من نبوءةٍ
أو قصيدةٍ أو سكوت
السماءُ لا تُمطِرُ شِعْراً
يَصعدُ الشُّعَراءُ
نخلَةَ اللَّهِ كلَّ يومٍ
والقصيدةُ "أَفيونُ" الفُقَراءِ
تَسَّاقَطُ من أكمامِهِم دَمْعًا
رابيًا ورَطبًا

تَسَكُّع

تتسكّع أحلامي في الظهيرة
مع أحلامِ آخرين
يتبادلون أنخابَ أَسرارِنا
وفي الليلِ يَفترقون جميعًا
وتَضِلُّ الظِّلالُ طريقَها
فلا نَلتقي مُجَدَّدًا

يَحُثُّني على الهرَب

عاقِدًا يديْه خَلف ظَهرِه
قَضى ظلّي ظَهيرتَيْن
يُعلِّم الجدران أَبجديّةَ الوقوفِ
فلَمّا تَهجَّت أَوَّلَ الحروف مَشَى خلفي
يَحُثُّني على الهرب

أثَرٌ على الماء

أَقْتَفي أثرًا
لأقتنصَ ظلًّا تائهًا ونمضي معًا
***
أَقتفي ظِلًّا
لأصنعَ أثَراً يدلُّكُم عليَّ
بعدما يَنتهي الغِناء
***
أَقتفي صوتًا
لأصنعَ مرثيةً تكَفي ظِلَّين وأثَرَيْن
وطريقًا مفتوحًا للأبديةِ
والنهرُ لا يحفظُ الأثرَ

قالَ بحرٌ في المدينةِ يَسْعَى ..

"لا يحفَظُ الماءُ ظلّاً"

قال شيطان مستقيل في شرفة الغواية

بَحْرٌ فِي الطابقِ العِشرين

لا أعرفُ السباحةَ
ولذلك أرفَعُ البحرَ فوق ظَهري
حتى غُرْفَتِي بالفُنْدُقِ..
مرَّةً لوَّحتُ للرملِ الذي
يَحرسُ البحرَ كأنَّهُ يعانقُه
فارْتجَّ طمىٌ خفيفٌ بنكهةِ القهوةِ
وفشلَ النَّادلُ للآن في لَمِّ الشَّظايا

لم يفتَحْ البحرُ نافذةً لِنَرَى
فصارَ الوقتُ
كأَنَّهُ "بروفة" للنّهارِ
وصارَ النهارُ أُمنيةً
والسماءُ فوق الفنارِ
غانيةً تُطرِّزُ الأحلامَ
في ضبابِ الرُّؤَى

قُبلَةُ الرَّمْلِ

ليسَ للبحرِ أن يَخلَعَ رداءَهُ
أمامَ مُصطافين
يتخَلَّصون من ذُنوبِهِم بِخَلْعِ الأقْنِعَة
فلا يَجْتَمِعُ عُرْيان
إلَّا في لَوْحَةٍ أو سَريرٍ وحُلمٍ
والرَّملُ تحت أَقدامِ الخَطايا
لا يَكفي لِقُبْلَةٍ أو رَعْشَةٍ أو صَلاةٍ

نبيٌّ مَهزوم

البحرُ في الألواحِ نبيٌّ مهزومٌ
وصيَّتُهُ المِلْحُ
مَوْجًا ورَمْلًا
وعاشقاتٍ بِعُرْيٍ خَفيفٍ
يُعلِّمْن أطفالَهُنَّ إيقاعَ النَّشيدِ
أو يَسْتَسْلِمْنَ لِريشةٍ ضَريرةٍ في المساءِ
تُلَوِّنُ النُّهودَ البارزةَ بِزَبَدٍ لا يَبقى

يا "اسكندرية"

شهداءٌ يَسقطون كلَّ يومٍ في البحرِ
من فُوَّهَةِ السماءِ
كَفَراشٍ حول نارٍ،
لا يَصرُخون
فلا يَبْكيهِم أَحَدٌ على الكورنيش
لأنَّنا نَعشقُ لَحظةَ احْتراقِ الفَراشات
ونَحنُ نُكَلِّمُ البحرَ في المَهدِ وكَهْلًا

يُدَخّنُ موْجًا

فَقط لأنَّ البنِايات تُشيحُ بوجْهِها
والشوارعُ تغلقُ نوافذَها دونَه
ولم تَعُدْ الشُّرفاتُ تتَعَطَّرُ لَه
صارَ البحرُ بَحَّارًا عَجوزًا
يَرتادُ المَقاهي الشعبية
يُدَخِّنُ مَوجًا، ويَحْتَسي رَمْلًا كافيًا
لِرحلَةِ العَودةِ
ثمّ يَحْمِلُ القِرَبَ الجِلديةَ
ليَسقي المدينةَ بما ليسَ في يديْهِ

تَسقطُ لوحاتُ "وانلي" على رصيفٍ
تَقِفُ عليه خادماتٌ يَتَعَرَّيْن
لرسَّامٍ ضَريرِ البَصيرةِ
يُمَرِّرُ البحرَ بين سيقانِهِنّ
ويَنْتَقي غليونًا لِيُدَخِّنَ
مَوجًا طافيًا وزَبَدًا
فتَختَلِطُ الألوان
"يا اسكندرية بحرك عجايب"

طيورٌ بلا أَجْنِحة

إلى أشرف عبد المعطي

قُلْتُ لِقصيدتي:
هَيَّا إلى البحرِ أُعَلِّمُكِ الإيقاعَ
والرَّقْصَ على حافَّةِ المَوْجِ
لِتكوني قادِرَةً على الغَرامِ
قالت: دَعْني أَغْسِلُ المِلْحَ عن وَجهي
وذَهَبنا نَتلَمَّسُ حُلْمًا تَرَكْناهُ قبلَ عامٍ
تحت صَخرَةٍ

قالت لي قَصيدتي ونحنُ في المُنتصف:
آتنِا عَزاءَنا إنّي أَرى الطيورَ تُحَلِّقُ بلا أَجنحة
قُلتُ لها دَعيني أَكْشطُ قِشرَةَ المِلحِ
عن عينيْ البَحرِ أوّلًا لأكونَ قادرًا على البكاءِ
***
بين الطيورِ والملحِ نَعَى صديقي
قصيدةً جريحةً تُلامِسُ الأبدَ
فصمَتَ البحرُ قليلًا
ريثما نَحملُ الجُثَّةَ الطائرةَ
ونُفَتِّشُ عن مُعَزِّين
فتَرْحَلُ الطيورُ للقُرَى بلا أَجنحة

جبَّةُ الصُّوفِيّ

أهبِطُ فوق المساجدِ المحاصَرَةِ
وأسْتَدعي الأولياءَ من المَيادين الضريرةِ
سِيدي بِشر اعتزل طريقةَ المِلح وآمنَ بالماء فَطار
سِيدي جابِر الذي وصل بين البحر والقطار
فضاعت طريقتنا على قضبان الغبار
والمرسي الذي نقل إلينا الأندلس بخفة طائر
هيا لنَرْقُصَ وَحدَنا رقصةَ الملحِ الأخيرة
قبل أن يَفِرَّ البحرُ بطريقَتِهِ المُثْلَى

دُميَةٌ مُلوَّنَةٌ بِدَمي

رغمَ كلِّ شيءٍ يَحومُ حَولَهُ:
جُثثٌ في الأفقِ،
رَملٌ يسدُّ فتحةَ السماءِ بِخِرقةِ الملحِ
لا يزال البحرُ أزرَقَ
وما زلنا نُكلِّمُهُ في المهدِ وكَهْلًا
ليعودَ الموجُ طِفلًا
والقصيدةُ دُميةٌ مُلوَّنةٌ بِدَمي
"يا اسكندرية .. بحرك قصايد"

بَوْحُ شَجرةٍ إلى لا أَحد

جميزةٌ تُغنّي في المِحراب

قطَعَتْ جميزةٌ ظلَّها لتحفَظَ الثَّمَر
فناحَتْ تُرعةٌ نَسِيَتْ الغِناءَ
***
" قِرْبة غُنا على ظهر سقّا"
والجُسورُ مُتعَبَةٌ
وللنَّهرِ أُغنيةٌ عجوز...
***
لستُ سوى عابرِ سبيلٍ
والجسورُ مشغولةٌ بفحيحِ الغَرَقِ

كُلَّما مرَّ عَندليبٌ
سقَطَتْ في البئرِ أُغنيةٌ وتَعرَّى الصَّدَى
***
لا شيءَ يُمكِنُهُ إنقاذُ أُغنيةٍ
بُحَّ صوتُ العازفين، والرَّملُ عندَ البحرِ أعْمَى
***
باحَتْ جميزةٌ تُصلِّي فى المحرابِ لماءٍ عجوزٍ
بكُلِّ ما في الخُضرَةِ من غِوايةٍ..
فأسْلَمَ الماءُ قيادَهُ لموجَةٍ ناعمةٍ
واستراحَتْ جميزةٌ في النَّزْعِ الأخيرِ
***
عندما يصمُتُ المُغَنِّي ينفَجِرُ العالَمُ
وعندما يَنفجرُ العالَمُ
يصعَدُ الشاعرُ شجرةً ليُرمِّمَ الغِناءَ

شَهْوةٌ مُؤَجّلَة

تخلَعُ الأشْجار سراويلَها
نزيفًا دائمًا لشهوةٍ مؤجّلَةٍ
فيسقُطُ الثّمرُ في الغُبارِ
***
لا تَحكي الأشجارُ عن نَشْوَتِها
والماءُ يداعبُ أعضاءَها
تَستكينُ للخَدَرِ الإلهي
وتَطرحُ الثمرَ
أَجِنَّةً مُعلَّقةً علي أكتافِ الفروعِ
وأجنحةِ الملائكةِ

صَرْخَةُ اللَّه

تعشَقُ الأشجارُ سُمْرَةَ التُّرابِ
فَفيها انْتِشاءٌ خَفِيٌّ
من صرخَةِ اللّهِ
وكُلّما اشْتدَّ صراخُ الغَرْسِ في الحقولِ
صعَدَتْ شجرةٌ للأعالي
تَرْقُبُ الصَّدَى

حُدَاء

قُلْتُ لِشجرَةٍ ترَمَّلَت
يومَ ماتَ حاديها:
إنّهم لا يموتون...
يَصعدون جبلًا حائرًا
بين اللَّهِ والشيطانِ
يُفَتِّشون عن قصيدةٍ

فُكِّي حِزامَ الطينِ وانْتشري
صوَراً شتَّى لفكرةٍ واحدةٍ
يُخفيها اللَّهُ تحت عرشِ الغوايةِ
واتَّكئي عاريةً علي جِذعِ نَهرٍ
لا يزالُ في غَيبوبةِ الحُلمِ...
تَنهَّدَتْ، وأخَذَت الطِّينَ معَها،
ولوَّنَتْ وَجهَها واغْتَسَلَت،
ثم أقعدَها البكاءُ إلى جذعِ نخلةٍ
وبدأ النحيب
والقصائدُ طافية على صفحةِ الماءِ

سِنُّ اليأسِ

قالَت لي شجرةٌ، بلَغَتْ سنَّ اليأسِ:
غُضَّ بصَرَك كي أستُر جُرحي
قلتُ لها:
أنا وأنتِ عاريان في انتظارِ بُرْدَة الأبدِ
وخَرجنا للنّورِ

سِرُّ الطَّمْي

قالت لي نخلةٌ على شاطئِ الملحِ:
ما سِرُّ طَميِك؟
قلْتُ: اصْعدي حتّى حافَّة العَرشِ
واقْطفي عِطرَ اللَّهِ في المَلَكوتِ، سَتَعرفيني
صعَدَتْ، لكنّها لم تَعُدْ
فلم يعُدْ أحدٌ من المعراج غيرَ نبيٍّ

الدَّرَكِيُّ

الأشجارُ على حافَّةِ الحُقولِ
دَرَكِيٌّ يمنَعُ زِنا المَحارمِ
بين الجذوعِ والفروعِ والتُّرَع
ونحن نُغافِلُها ونتلَصَّصُ على الأسرارِ
في قَيلولةِ الطبيعةِ الصامتة

شجرةُ الأسلافِ

كيفَ تَلِدُ الأشجارُ
وفروعُها تخاصمُ الجذورَ
سأَلْتُ عجوزًا تَحفظُ الأنسابَ
في "خَلاصٍ" ينعسُ مع ترعةٍ
صكَّتْ وَجهَها وقالَت:
الثمرةُ لقيطةٌ بنكهةٍ مُخاتِلَةٍ
فانْتَبَهْتُ على وَقْعِ الظِّلالِ

الرِّيحُ فِتنَةُ الشجرةِ

الرِّيحُ قُبلَةُ الشجرةِ وفِتْنتُها
وصلاةٌ مَوصولَةٌ بين العَناصر والفصول
الرِّيحُ نُبوءةُ الشجرِ التي لا تَدوم
***
الموجُ عاشقٌ ذليل، والشجرةُ لم تَعُدْ أنثىً
رغمَ هذه الضفائر الخضراء
***
قالت شجرةٌ في الغروبِ:
لا تنسَ أن تُغلِقَ البابَ
وأنتَ تغادرُ اللَّوْحَةَ من دون رِداء
تَلَفَّتُّ حَولي، فلمْ أعثُرْ على ظِلٍّ وَحيد

مِثل أُغنيةٍ

مثل أُغنيةٍ يَمُرُّ الشَّهيدُ تحت نافِذَتي
فأُنْصِتُ للنّشيدِ وأُشهِدُ الجسدَ
المُسَجَّى تحت عَمامَتي أنّي "ضائعٌ في الترجمة
مفقودٌ فوق غيمةِ التنَحّي الأخيرِ للسَّحابِ
وأُشْهِدُ النوافِذَ كُلَّها بالوفاءِ لما سَقَط
ومِثل أُغنيةٍ يُوَدِّعُني
ويَشْكُرُني على شاي العَصاري
مثل أغنية
يَمُرُّ النهرُ تحت هَرَمَيْن
يتسابقان إلى الحَتْفِ الأخير لمَركَبَةِ النورِ

لا يَعرِفُ الموجُ حدود ما أنزلَ الربُّ من الوَصايا
ويخلَعُ جِلبابَهُ ويَحرُسُ عُرْيَهُ ظِلٌّ بَعيد
مِثل أُغنيةٍ
أُرَدِّدُ ما ليس تَحْفَظهُ الأَغاني
من نَشازٍ مُبْهِرٍ للنهرِ وهو يَضِجُّ
بالشّكوى لأنّ الشمس سرَقَتْ ماءَهُ قبل الغروب
والنهرُ مَصلوبٌ على المِلحِ مرَّتيْن
مثل أُغنيةٍ
يَسقُطُ منِّي صَليبي
(لستُ مَسيحيا، ولا صَليبي كذلك
فلا تُسرِفوا في الفَهْمِ)
لكَنَّ الخَشبَ دِيانَتي، مَتاهَتي، وحَتْفي
أَغرِسُهُ لِيَصْلُبَني وتَحْفَظُنا أُغنية

أغرِس أُغنية وأَصْمُت

كان الماءُ حَوْلي تمامًا
وكنتُ أَغرسُ أغنيةً صغيرةً
في عُروَةِ الطَّمْي
انْفَجَرَت شَرايين التُّرابِ
الذي لم تصِلْ إليه بواكيرُ الفَرَحِ
وجَفَّت جذورٌ عالِقَةٌ في الأرضِ

رَوَّضْتُ حُلْماً
على المَجيء قبل الفجرِ
يوقِظُني ويَفرِشُ لي سجّادَةً
من الطَّمْي المُجَفَّفِ
كي أَقرأَ الوِرْدَ
على ضُيوفي المُتَحلِّقين
حولَ بُقعَةِ نُورٍ
تَسقُطُ من السّقْفِ
بلا أثَرٍ على الترابِ

مَصيرُ القَصيدة

قَصَّ الطريقُ ظلّين
ليختبرَ ذاكرةَ الغبارِ
ويَغرِسُ أَثَرًا
فَعرَفَتْ جميزةٌ مصيرَ الطحالبِ
في حُضنِ الماءِ
***
الحَصادُ قتْلٌ رحيمٌ للحطبِ
قبل أن يَرتَدَّ إليهِ ظِلُّه
فيموت واقفًا، أو يُغَنّي

حَريق

القصيدةُ..
أن تَمضي في طَريقيْن بِوَقتٍ واحد
حتى نهايةِ المطافَيْن
وأنتَ لا تَبرَحُ ظِلَّ البدايةِ مُطلَقًا
آتِنا حِبْرَنا ولا تَخَفْ
فالحطبُ لا يعرفُ الأبجديةَ إلّا في حَريق

ذاكِرَةُ الحِذاء

أَبانا الذي في المَرايا
لماذا لا نَراك؟!
***
حِذائي بلا ذاكِرَةٍ
أنْتَعِلُ طَريقًا
وأَنْسَى خُطوَتي
غُباراً في بِئرٍ عَمياء

قَصيدةٌ هارِبة

فتَحْتُ نافذةً
فخرجَتْ قصيدةٌ تُعطِّرُ الأبَد
أَغلَقْتُ شُبّاكاً
فنامَ الأبدُ تحت سريرِ دَهشَتي
ونَسِيَ حذاءَه في الصباحِ
عندما فاجأَتْه ساعةٌ
تَرقصُ فوق كَتِفِ تِمثالٍ
وتَرُشُّ الشُّهَداءَ بالعِطْرِ

صَمْتُ الكَمان

عندما سَكَتَ الكَمانُ
وفَحَّ العودُ آخرَ ما تَبقَّى من زَيتٍ
في المَرايا
توقَّفَتْ عن الرقصِ
وعرفَتْ أنّ وقتَها قد حان
لَبِسَتْ عُرْيَها على عَجَلٍ
وخَرَجَت إلى شُرفةٍ جانبيةٍ
تَنتَظِرُ عُكّازًا يسقطُ من السماءِ
وطريقًا يصعدُ إليها

ظِلُّ راقِصَة

هل لأنّكِ ترْقُصين عَكْسَ عقاربِ الزمنِ
لا بدّ أن نَدُورَ
كُلَّما تَطَوَّحَ شالُكِ الذَّهَبِيّ
تحتَ قُبَّعةِ النورِ
وهو يُغادِرُ مَرْفَأَ الحُلْمِ؟
هل لأنكِ تَكْتُبين في كلِّ رَقصةٍ
ظِلَّ مرْثِيَةٍ تَطْلُعُ من تحتِ فُسْتانِك
لِتَسْتُرَ سُكْرَنَا
لا بُدَّ أنْ يموتَ الفَراشُ
لنسْتَمِرَّ في النُّواحِ فَوْق الموائِدِ الخاليةِ؟

هل لأنّكِ تَرْقُصين بِأَجْرٍ
فَقَدَتْ الموسيقى قَداسَتَها
وصارَ العُرْيُ إيقاعًا صاخِبًا بلا هُويّةٍ
وصِرْنَا سُكارَى
يَهْرُبون مِنْكِ إلى خَمْرٍ رَخِيصة
لمْ يَكُنْ للسَّكارَى فُرْصَة لِمُشاهدَةِ رَقْصِك المُثير
فقد أغْلَقوا النوافذَ مُنْذ زَمَنٍ
على رُموشِهِم المُكَرْمَشَةِ
كُنتُ وَحدي صامِتًا
وساقاكِ ترْتَعِشان برَغْبَةِ النَّوْم
لأنّ غيمةً فَرَّتْ من دون وَداعٍ
في النافذةِ الوَحيدةِ في الخَيمَةِ
بَيْنَ عُرْيِكِ وسَتْرِ الحُلْمِ في حُقُول الذُرَة

حياةٌ مُستقِلة

لا تنتظرُ القصائدُ موتَ شاعرِها
لتبدأَ حياتَها المُستقلَّة
تَبدأُ القصائدُ حياتَها الحُرّة
في اللحظةِ التي تَحبلُ بها مُخَيِّلَته
والشاعِرُ مَحضُ "قابِلَةٍ" للصورِ أحيانًا

طُفولةُ تُرعة

نبيٌّ مَطمورٌ
بين النورِ والترابِ، لم أكُنْ أعرِفُ سِرَّهُ
أَلهو معَهُ على جسرٍ حديديٍ
عرَّتْنا شمسٌ وأَغْوَتنا تُرعةٌ صغيرة، فغَرِقنا معاً

***

مرَقَتْ كَسَهْمٍ بين عُيونِنا والقِطارِ
والشمسُ فوق رؤوسِنا تُغَطِّيها شجرةٌ
فضَحَها ظلٌّ مُشاغبٌ
وكَشفَ ما بين ساقَيْها من أَحلامِنا
وما يمنعُ الثّديَ الصغيرَ من الهَربِ

ظِلُّها

تَعرّتْ تماماً للمِرآةِ
لِيَتَسنَّى للمَثَّالِ
أن ينحَتَ ظلَّها على مهْلٍ
عندما تُغادِرُ

قَطرةُ نَدَى

لم تنتحرْ قطرةُ النّدى
فقط لم يَعُدْ النّايُ يُصَدِّقُ ما يَرَى
فعادَ لأُمِّهِ الشجرة
وشَنَقَ رغبةَ البكاءِ
وعادت هي لأَبيها الماء
وجَدِّها التراب
وتركَتْ لنا صمتًا كأغنيةٍ
والنهرُ لا يعرفُ المَراثي
تحتَ إبِطِ خارطةٍ بلا جُسور

تَأْويل

قال لي صَديقي:
لم تَمُتْ قطرةُ النَّدى التي رَثَيْتَها..
وأرسلَ لي رسالتَها إلى النهر
فقُلتُ: إنّ القصيدةَ عمّا ماتَ فيها
من رعشةِ الحياةِ
فَبَكَينا خيانةَ النهرِ للماءِ
والغناء للنّايِ
وأبقيتُ القصيدةَ حدادًا مناسبًا
لموتٍ يعيشُ فينا كشجرةٍ مُثمرة

ثَديٌ في السماء

لا تَبْكِ على ثديٍ أرضعَك
وقفْتَ عاجزًا والأطِبَّاءُ يَقُصُّونَهُ من الحَديقةِ
إنَّهُ يُسافِرُ في الغَمامِ
حيثُ يَحتاجُ مَلَكٌ صغيرٌ للرّضاعةِ
سيعودُ في الحُلمِ ليَحكي لصاحِبَتِه
كيف تمتلىءُ الجَنَّةُ بالأثْداءِ الجميلةِ
وإلَّا فمن أين تَأتي أنهارُ الحليبِ
والعَسلِ المُصَفَّى
وكيف تَطوفُ الأعضاءُ جميعًا
تَزرعُ لكلِّ ثَديٍ شجرةً، تَحلِبُ عِطراً حول العَرش

غَرْس

غرسْتُ شجيرةً على ضَفَّةٍ
وغرَسَ خيمة على ضَفَّةٍ
فَتَبارَزَ ظِلَّانَ
حتّى هَرِمَ النهر
ونَسي خُصوبَتَه

بنكهةِ الرّصاص

تَميمَة

الطِّفلُ الذي ذهبَ ليُخْبرَ اللَّهَ عَنَّا
لم يَعُدْ
وتَركَ صورةً باكيةً على خَيْمةٍ
والنهرُ الذي يخبرُ البحرَ عما لا نَفعلُه
لن يعودَ...
رسمَ خَطًّا على الرَّملِ
سَمَّاهُ خارِطَةً
حَبِلَت الخارطةُ بِظِلالٍ، صارَت وَطَنًا
والماءُ بعيدٌ في معراجِ المِلحِ

فِي الحَظائر المهجورةِ أَشباحٌ تَرْعَى فِي حقولٍ
- نَسِيَها النهرُ على الخارطةٍ عَمدًا -
وتَسرقُ الكَلَأَ - الذي كان طفلا
يُقدِّمُهُ الى فِراخِ أحلامِهِ الصغيرةِ-
فِي المَنافِي تحت قصفِ الصمتِ
ثم تَصنَعُ من القصائدِ تَمائم بأكفانٍ بيضاءَ
كرسالةٍ إلى اللَّه
كَي لا يعودَ الطفلُ إلى البحرِ عَجَبًا
لكنّهُ يعودُ
يَطبعُ صورتَهُ على الملح ويُرسِلُها الى اللَّهِ
صارِخًا بِصَمْتِ الرّملِ:
مَعذرةً لم أستَطِعْ الوصول...

سجدة

لا تُسافرُ القطاراتُ بل تُصَلِّي
وُضُوءُها عَرَقُ النائمين على الرُّفوفِ
ونحن فوق أَسطُحِها نَوافِلُ
تُعَلِّمُ الرّيحَ "سورةَ" القُضبان
وخُضرةَ الحُلمِ
حتّى جاء جنرالٌ
علَّمَ القطارات الركُّوعَ في صَمتٍ
فأَغْلَقَت أبوابَها، حتّى تكتملَ الفَريضةُ
وناحَتْ حُقولٌ لم تَجِدْ ماءً لوضوءِ الظهيرةِ

أحلامٌ خَضراء

إلى علي للّو *

ظَلَّ يُروِّجُ أحلامًا خَضراءَ
ليَتَّقي القيامَةَ المُبَكرَة في المَشافي
بَارَت بَضاعَتُهُ في مَنافي المِلحِ
فارْتَدَى الأبيضَ على عَجَلٍ
وخادَعَ الموتَ والرِّفاقَ:
سأَذْهبُ للأعالي، أبيعُ أحلامًا للملائكةِ
فانْتَظروني في غَيمةٍ عائدةٍ
لكنّ الرملَ احْتَفَظ بالجثَّةِ رَهينةً إلى يوم القيامةِ
وحامَتْ حول حُلمِهِ الشاحِبِ حَمامَة.

*علي للّو شاعر فلسطيني

نُصُبٌ غَير تَذكَاريّ

الفلاحون الذين كانت أقدامُهم
تَسْعى حولَ رَغيفٍ يَطلُعُ
من رَحِمِ نَهريْن
يَفتحان ساقَيْهِما للخِصْبِ
طَرَدَتْهُم الملائكةُ
بأسمالِهِم من المَيدان
حتّى يَنْعَمَ الجُنديُّ المَجهولِ
بِنَوْمَةٍ تحت النُّصُبِ
ولا يَذْكُر شيئًا ممّا جَرَى

حُلمٌ قَديم

حَجَرٌ يَتطاولُ
ثمّ يَصيرُ كُرَةً أرضيّةً
بِلا بحارٍ أو مُحيطات
البلدانُ تَأْخُذُ شَكلَ
القطط، والنُّمور، والجرذان
ثمّ يَبدأُ الصّراخُ الكَوْنِيِّ على صَدْرِي

مع كلِّ صَرخةٍ يَكْبُرُ الحَجَرُ
القططُ لا تَقضي حاجَتها إلّا عندَ بابِ القلبِ،
الكلابُ وَفيَّةٌ لِنارِها، تُشعِلُ فيَّ الشِّعرَ بِنُباحِها
فتَلْتَفِتُ الذِّئابُ إلى ثقبٍ في الحَجَرِ
تُفَتِّشُ عن يُنبوعِ ماءٍ
فَتَنفَجرُ نَوافيرُ الدَّمِ بِأَورِدَتي
ثمّ أَصْحو لأكنسَ بقايا الكابوسِ
فلا أرَى سوى هواءٍ تَحجَّرَ وردةً
ونباتٍ تَكلَّسَ أغنيةً
ولا أثرَ لأيّ حجرٍ ولا خارطة في الأفُق

قَتَلَةٌ بالفِطرة

دَهَنوا البَنادقَ بالبنفسجِ
وأَطلَقوا الورودَ من ثَدْيِ طائرَةٍ
على جَسدِ ذاكرةٍ تَثاءَبَ ظِلُّها
فوق مسجدٍ وكنيسةٍ وميدانٍ فسيح
ونَسوا أنّ البنفسجَ
من حُمْرَةِ الدَّمِ وزُرْقَةِ البُكاء في البحور
وأنّ الرَّصاص لا يزالُ قاتلًا
وأنّ الشَّهيدَ لا يعودُ في حافلةٍ آخرَ النهارِ

نحن قَتَلَةٌ بالفِطرةِ...
زوالٌ يَتَشَبَّثُ بِعقاربِ الساعةِ حتّى لا تَدورَ
فتَسقُطُ من غُبارِ العَقاربِ
جُثَثٌ وقَصائدُ .. وأوطانٌ شَتَّى...
انْتَهتْ المَهزَلة
لا تَنْسَ أن تَسحبَ النهرَ معكَ
للمَبيتِ في الحظيرةِ
فخلفَ كلِّ مَهزَلَةٍ غُبار
انطلَقَتْ الرَّصاصةُ من الحُلمِ
ولم يَعُدْ بإمكانِكَ الانْسحاب
في مُنتصفِ القصيدةِ
فقد صِرْتَ قَاتِلًا

تَفْعيلَة

يُخَزِّن الشاعرُ قصيدةً تحتَ اللِّسانِ
ويَمْضُغُ أحزانَه دَفْعَةً واحدةً
في "البُستانِ"
عِندَها تُصبحُ القصيدةُ مُسَكِّنًا مُلائمًا...
يَغرَقُ الشعراءُ في نومٍ سَخِيٍّ
مع دُخَان المَقهى
والشعبُ تحت مِقصَلَةِ الفَقْرِ والجوعِ
تَفعيلَةٌ للغَضبِ

كاتمٌ للرَّصاص

لا تَرتجفْ من البردِ
أيُّها العُصفورُ الصغيرُ
ترَكْتُ لك النّافذَةَ مَفتوحةً للغِناءِ
خُذْ قليلًا من الرَّاحةِ
سنَبدأُ معًا العزفَ بعد قليلٍ
لا تخَفْ من نَشازٍ صَوتيٍّ
كلُّ شيءٍ مُعَدٌّ هُنا في الغرفةِ الضيّقةِ

كاتِمٌ للصراخِ
ومدخنةٌ لامتصاصِ الحَشرجاتِ الخفيفةِ
لا جُرحَ في الجدارِ يَنزِفُ
ولا ياسمين يجيدُ البكاءَ
على شرفةٍ جانبيةٍ
ادْخُلْ واسْتَرِحْ ريثَما أَرتدي ما يليقُ
فأنا وأنتَ مَلَلْنا الانْتظارَ..
الأغنيةُ جاهزةٌ الآن
فادْخُلْ واقْتَرِبْ..

الكتابةُ بالحواسّ الخَمس

ترويض الحواسّ

حاوَلْتُ تَرويضَ حَواسّي الخَمْس
على الصّمت
فَضَحَني ظِلِّي وقَفَزَ في النهر عارياً
فنبتَت مكانَه شجرةٌ
واختَفَيْنا

فِي انْتظارِ غَيمةٍ

أَنتظِرُ غَيمةً تُسقِطُ رَصاصةً مُقدسةً
تُعيدُ لي بَسمةً سَرَقَها شَهيدٌ
رُبّما أستطيعُ المرورَ على البَرزَخِ بلا أَسئلة
ذَكِّروني دائمًا كلّما ابْتَسَمْتُ
أنّ البَسمةَ من غيرِ دَمٍ
لا تَصِحُّ الصَّلاةُ خلفَها
راقِبوني وأنا على قَناطِرِ الغِناءِ
أعْبُرُ النّهرَ وانْتَظِروني
ربّما تَستعيدُ الغيومُ قُدْرَةَ المَطرِ

جثثٌ تعبرُ الرصيف

إلى الشاعر السوداني محمد بهنس

انْتقَى رَصيفًا فارغًا وسَمَّاهُ الوَطنَ
حَفَرَ به نُهَيْرًا صغيرًا لِحُلمٍ ضَريرٍ
ثُمّ انْتَقَى رَصيفًا فارغًا وسَمَّاه الجَنَّةَ
وكَسَا الرصيفَ حُلمًا له عَينانِ باتِّساعِ المَدَى
ثمّ غَطَّى الرَّصيفَ بِغَيمةٍ عابِرَةٍ
ثمّ انْتَقى رصيفًا فارغًا وماتَ في صَقيعِ
لِيَكْتَمِلَ الحُلمُ بِلَقْطَةٍ جانبيَّةٍ يسقُطُ فيها المطر
فلا تستطيعُ الجُثثُ العُبورَ للرَّصيفِ المُقابلِ...

جُثَثٌ تَركَبُ المِترو

جُثثٌ تَلعبُ دَورَها بإتقانٍ بالِغٍ
وتَسُدُّ ثَغرةً في الهواء
لتَمُرَّ الرّيحُ آمِنَةً بين مَوجتين
ويكتملَ الفراغ جسدًا له خوارٌ بَهيجُ
يركبُ المترو إلى حيث لا يُريد

جُثثٌ تحت نافذتي

لم يعُدْ في النّهرِ مُتَّسَعٌ
وأنا لَسْتَ شاعرًا
فلماذا تُكَدِّسون الجُثَثَ
تحت نافذَتي
وتَطلبون المَغفِرَة؟

أَبْجَدِيَّة

مُنتَصِبًا كَوَثَنٍ، أُصَلِّي للخُضرةِ
وأنْتَقي شمسًا أتْبَعُها بِظِلِّي
حتّى حافَّةِ "الغيط"
أَقرأُ تلاوةً صامِتةَ لِحَوافِّ الحقلِ
وسُرَّةِ الأرضِ، وتَلَّةٍ في المُنتصف
جَمَعْتُها من نَهار الأمس ثمّ أبدأُ الصَّلاةَ
الفأسُ في يَدي شجرةٌ فَرَّتْ من الذَّبْحِ
تُعاوِدُ عِناقَ الأرض

أرْكَعُ مُنحَنِيًا
وأَجمَعُ ظِلالًا هاربَةً من صَلاةِ العَصرِ
وخَلْفي تَصعَدُ "أَلِفٌ" كمئذنةٍ
في حصَّة الإملاءِ ...أُغَنّي
فتَنْتَشي "ياءٌ" وتنْثَني وتَكتَمِلُ صَلاةُ الأبجديَّةِ
مع حَرَسِ الحِصَّةِ الأخيرةِ
وال "حاءُ" رَحِمٌ ينتظرُ ظِلًّا
هابِطًا من مِئذَنَةٍ على مسجدٍ عَجوز
من غِوايةِ ال "جيم جَنَّةً وجَحيمًا"
وأنا أَنْتَصِبُ كَوَثَنٍ أُقَلِّدُ الأجداد

تَغْريدةٌ عاجِلَة

هيَّا.. أعِدُّوا خِيامَ الرَّحيلِ
وسُفُنًا كافيَةً للقَراصِنةِ
واجْمَعوا طيورَ القصائدِ
وحدائقَ الغَيْمِ
والحيوانات المفترسةَ والأليفَة
التي وَظَّفْتُموها مَجّانًا
في سِيركِ قَصائدِكِم المُدهِشِ

فكُّوا الخِيامَ
وخُذوا في حقائبِ القصائدِ
طعامًا يَكفي لِرِحلَةِ عَامٍ
وأمطارًا تَكفي لِعامَيْن
وأخْبِروا الملائكةَ التي أدمَنَتْ حصارَكُم
لكي تُغيّرَ بطاقاتِ الهُويّةِ
وأماكنَ الإقامَة
الوطنُ قادِمٌ إلى مَنفاكُم
عَسَسًا وقصائدَ
فانْتَبِهوا للصُّوَرِ الشعريّةِ
وأنينِ المَرايا

كاميرا

لا كاميرا معي
ولا ظلّ لأحدٍ على الطّريق
والمصابيحُ نامَتْ بعد سَهرَةٍ صاخِبَةٍ
وجَرَّت خَلفَها غَمامتيْن
وطائريْن هجَرَتْهُما الأشجارُ في السُّرادَقِ القَريبِ
فمِنْ أين تَطلُعُ الصُّوَرُ
التي تَسقطُ أمامي بانْتِظام ؟

وأين تذهبُ بعد أن يمُرَّ طَيْفي فوق الحَصَى
وأنا أرقصُ وَحْدي رَقصتي الأثيرة
ضدّ عَقاربِ الوَقْتِ؟
***
أيْقِظوني عندما تمُرُّ الصورةُ الأخيرةُ
لأُغْلِقَ المَقبرة ... ولا تُزعِجوها
***
قد تَغُشُّنا المَرايا، وربَّما تَخْدَعُنا مَلامِحُنا
وحْدها الكاميرا لا تَكذبُ علينا
لأنّها تُصَفّي الزمنَ من غُبارِ الوقتِ
لتُغْوي الأبدَ بِرَقصةٍ لا تَنتهي

نشيدٌ وَطنيّ

انْكفَأْتُ ألُمُّ شظايا الزّجاجِ
قبل أن تبدأَ العاصفةُ
والعسسُ على البابِ ينتظرون
عودةَ البئرِ المُعَطَّلَة من قَيْلولة الماء
ثم بدأَ النُّباحُ كَنَشيدٍ وَطنيٍّ
لقَوافِل الأشباح

قَهوتي الصّباحيَّة

فَطيرتي
وقَهوتي الصباحيّة
والشمسُ التي تتسلَّلُ من النافذةِ
والنّورُ الذي يملأُ غُرفَتي
لا شيء يُقْنِعُني أن يومًا جديدًا قد بدأ
هناك ظلالٌ قديمةٌ فوق الورقِ
وعتمةٌ في الصورِ
وحَقيبتي فارِغَة

فِنجانُ قَهوة

السماءُ لم تعُدْ تُمطِرُ قهوةً مغليّةً
في الصباحِ
بل ذاكِرَة..
أشْعِلْ رِكْوَتَك بِرَأسي
عَلَّني أُغْوي ظلَّ السّماءِ بفنجانٍ
بلا رائحة، فيعود...
يموتُ الأصدقاءُ تِباعًا
حتّى لا تَجِفَّ شجرةُ الأبدِ

حتّى بلَغَ مَأمَنَه

بعد أن غادرَ المقهى
وحيداً
إلى شارعٍ مُظلِمٍ،
ظلَّتْ الحَوائطُ تَسعَلُ
حتّى بلَغَ مَأمَنَه

عِواء

لأنّني لا أُجيدُ النّباحَ بغيرِ نوتَةٍ موسيقيةٍ
سأجعلُ الذئبَ دَليلي إلى صرخة الأبد
بعواءٍ مُتَقَطِّع
وسأُعَلِّمُ صقرًا حبَسَتْهُ الكُتُبَ
معنى الجَدليَّة بين النّباحِ والعواءِ
حتّى لا يَضِلَّ طَريقَهُ
بين قريتين إن أَفرَجوا عن جَناحيه
وقبل أن يَستفيقَ على نباحٍ مُكْتَمِل
لا يَعرفُ مَصدرَهُ
فلا يستطيع الطيران بِعِواءٍ ذَبيحٍ
والنُّوتَةُ مَخبوءةٌ في ثيابي

خطَفْتُ مَقبرة

خطَفْتُ مقبرةً بِمَوْتاها في عامِ المَجاعة
ونسيتُ ما أمَرَني المنامُ أن أفعلَ بها
ونحن نَتَسلَّقُ السماءَ الأولى
فأمطَرَتْ
واخْضرَّت الأرضُ مكانَ العِظامِ
بجذورٍ ميتةٍ
والظلالُ مقصوفةٌ جوارَ الماء
وأنا مازِلْتُ طائرًا في رِحلتي

مرةٌ أَخيرة

لمرَّةٍ واحدةٍ قبل أن نموتَ
لا تَستَسْلِمْ لحَتْم الملح الأَجير
أيها النهر
وعُدْ لأشجارٍ في انتظارِك
قال: مهَمَّتي العبور
ومِهنَتي الغَناء
فعَرَفْتُ طَعمَ الملحِ في جُثَّتي المُحَنَّطَة
***
باقٍ على موعدِ القيامةِ ساعة
-قالت شجيرةٌ لظلِّها -
سارعْ بغرسي قبل اكْتمالِ الصَّرخَةِ

تنزِلُ النّهر مرّتين

فِي الردِّ على لوركا

استمَعَ الحطَّابُ لصرخةِ لوركا
لكنّه كان ضعيفًا فِي الترجمةِ
فَفَقَدْتُ أثَري
على الطُّرُقِ المُبْتَلَّةِ
وأنا عائدٌ لِتَوّي من الحربِ
بلا غنيمةٍ واحدةٍ سوى رأسي

نَعْتَلي شُرْفَةً

عن أوجَسْت كونت أنّه قال:
"لا يمكن أن نَعتلي شُرفةً
ونرَى أنفسَنا مارِّينَ في الشارع
في الوقتِ ذاتِه.."
فردّ صلاح فائق،
وهو بين الصَّحْوِ وغَفْوَةِ الحُلْمِ:
"أنا أستطيع"..
كنتُ في اللّحظةِ ذاتِها
أَحْمِلُ شُرفَةً تُشبِهُني على كَتِفي
وأنا أَضَعُ طريقًا على مقاسِ خُطوَتي
وأمضي فوق جسرٍ لا أراهُ إلّا في المَرايا..

باسْمِ من نَكْتُب

عن عفيفي مطر أنّه قال:
" باسْمِ من أكتبُ
والليلُ أمامي كتُبٌ مَصفوفةٌ
والشَّعبُ لا يَقرأ.."
من يومِها وأنا أرفُضُ المَكتبات
وأفرِشُ كُتُبي
على رصيفِ الحكاياتِ القديمة
ربما يَطلبُ العابرون
شَربَةَ ماءٍ أو بُقعَةَ ظِلٍّ

الكتابةُ والفراغ

عن صلاح فائق وهو بين السُّكْرِ والإفاقَةِ
أنَّه قال: أَبيعُ كُتبي ولا مُشترٍ
فما حاجَتي للكِتابةِ
وأنا قَرَّرْتُ عِصيانَ الأثَر
فَحاجَتي كبيرة للكتابةِ لأتَّقي
الفراغَ وأحْترِفَ الجنونَ

على سبيل المجاز

من دون عَنْعَناتٍ عتيقةٍ كالقرابين
أقولُ مباشرةً:
أبانا الذي حَجزوكَ في ال"هُناك"
فلم نَعُدْ نَراكَ من كثرةِ المَرايا
لا زِلنا "هُنا"
أَسْقِطْ لنا جِسراً لنعبرَ فوق صورَتِك
التي تَملأُ الزّوايا

يا أبانا

أرسِلْ لنا قَمريْن على سبيلِ المجاز
الذي تكرهُهُ قصيدةُ النَّثْرِ
ربَّما يَضِلُّ أحَدُهُما فنُشْعِلُ الآخرَ
في ركنٍ قَصيٍّ كشمسٍ مُستَقيلَةٍ
حتّى يَطلُعَ الفَجرُ أو تَنكفِىءَ القصيدةُ
وانْتَظِرْنا
في معراجِ الجُثثِ المُلوَّنَةِ
فقد أطفَأَتْ الحَربُ أَقْمارَها
كاسْتِعارَةٍ مَجّانِيَّةٍ، وطَافَتْ...

أوصَتْني قائمةٌ طويلةٌ من الشُّعراء:
لا تَدخُلْ حُلمًا بغيرِ قُربانٍ صَغيرٍ
لكنّني دخَلْتُ بِغَزالةٍ صغيرةٍ
لأُكْمِلَ لَحْنًا مُستَعْصيًا من رُبْعِ قَرنٍ
تَنْزِفُهُ رَسْمَةٌ باهِتةٌ على جدارٍ يريدُ أن يَنْقَضَّ...
سقطَ الجدارُ وبَقِيَتْ نَغَمةٌ تَطوفُ وَحدها
لم أَقُمْ من يومِها ولم تَأْتِ القيامة
ولا عادَ الجدارُ من صورةِ الماءِ
الذي كان يحفَظُ ظِلِّي ليَوْمِ النَّحْرِ

فَتْقٌ في بَطنِ غَيمة

عن "وليد هرمز" ، وهو ينتظر فتقًا
في بطنِ غَيمةٍ
ليَقرَأَ ديوانَهُ الذي لم يَخضرّ بَعد
عشبًا كافيًا لإرضاعِ سحابةٍ...
عن "سليم بركات" وهو رابِضٌ في الميدان
كجُنديٍّ كُرْدِيٍّ
مُسلَّحٍ بأمطار خَفيفة، أنّه قال:

"الغيومُ هنا تَتناسَلُ كالأرانِب"
فرأَيْتُ جِبالًا تًرقُصُ في انتظارٍ
وبَقيتُ وَحدي
أُحْصي فَوارِغَ الرَّصاصِ
تَنْزِلُ من جَوْفِ غَزالَةٍ محبوسةٍ
في قطرةِ مطرٍ بلَغَتْ سِنَّ اليأسِ
تَرفُضُ أن يَنْبُتَ عُشْبٌ
في خارِطَةٍ عَجفاءَ
بِلا ثَديَيْن
وتُصِرُّ على فِطامِ النَّهرِ
قبلَ الأوان

رَملُ جوجان

وحدَهُ بول جوجان فَهِمَ ما أُريدُ
فَكَسا الرَّملَ حُمْرَةً تَشي بالكثير
من يومِها
لم أرَ خُضرةً تُراقِصُ النهرَ
في اللَّوحةِ الخالية

فِي تأويلِ الأحاديث

نبيٌّ أنتَ في الشِّعرِ
قصيدَتُك الصَّمتُ
لا تَخَفْ نحن نُجيدُ قِراءةَ النُّبوءات
فاصْدَعْ بِحُلمِكَ بين السّطور
تَنهيدة قصيرة لمجَرَّةِ الفَوضى
وهي تَغتَسِلُ قبلَ العاصِفَة
وبُحْ بما يَستحِقُّ السُّكوت

القصيدةُ تنزِلُ النّهر مرّتين

للقصائدِ أن تَنزِلَ النّهرَ مرّتيْن
وتقتُلَ الفَلسفَةَ
لكنَّها لا تستطيعُ المَوْتَ مرَّتيْن في آنٍ..
ولذلك لا نَرى شاعِرًا وحيدًا بين الشُّهَداء
ولأنَّ الشُّعَراءَ يَكتُبون في لَحظَةِ المواجهةِ
على أَسْفَل ظهورِهم:
هُنا قَصيدةٌ فلا تُطلِق الرَّصاص
فإنّهُم يَعبُرون إلى الضفَّةِ الآمِنَة

اعتذار

إلى نيكونار بارا

كلُّ هذه الكتابةِ لنصفِ قرن
والصفحةُ البيضاءُ
لا تزال عذراء تماماً من غير سوءٍ
فاطمئنْ
ما أروع الموت حين يخلِفُ موعدَه مع المرايا
معذرةً
سأُرَوِّضُ ظلّي على الصمت بالخارج
فقد توقّف عن الشراب منذ شهرين فقط

سأعودُ إليك
ربّما في زمنٍ آخر بلا مَرايا
وما لم يحدث هناك.. ثِقْ أنه حدث هنا
فما أسوأ ترجمةَ الموت
في عِظام القدّيسين
لشيوعيٍّ مُستقيلٍ يُجَرِّبُ المِحرابَ
كآيةٍ دياليكتيكية

ضدّ المرايا

99

للَّهِ تِسعةٌ وتِسعون اسْمًا
مع ذلك يُصِرّونَ
أن تَعزِفَ المرايا
أغنيةً وحيدةً

اغْتِسالُ الضَّوء

كلُّ ضَوءٍ يَهبَطُ النهرَ ليَغْتَسِلَ
تَخدَعُهُ المَرايا
فلا يستطيعُ العودةَ
لحمايةِ الطّريقِ
من قُبلاتٍ مُخْتَلَسَةٍ

ضدّ المَرايا

بعدما خَمَدَ الغُبارُ
سَأقودُ مُظاهرةً وَحدي
ضدَّ المَرايا
حتّى يَمُرَّ الرَّبيعُ آمِنًا
وأستطيعُ العَودة

مُعجِزة

-١-

لا تُقنِعوا نهرًا عجوزًا
بالعودةِ من المصبِّ
للنِّهاياتِ غِوايتُها
والمِلحُ سِرُّ الخُلودِ،
قالَ مَلَكٌ بلا أَجنحةٍ
لسَكارَى في الطَّريقِ، ثمّ اخْتَفى

-٢-

حدثَتْ المُعجزةُ
وعادَ نهرٌ من المصَبِّ
لم يَحْكِ سيرَةَ المِلحِ
لم يعتَرِفْ لجمّيزَةٍ بالخَطايا
ولم يجْدِلْ مِشْنَقَةً
من ضفائرِ الصَّفصافِ
خلَعَ جِلبابَهُ الريفيِّ
وانْتَحَى بِنسمَةٍ عابِرَةٍ، لقَّنَها الشّهادَة
قبل أن يذهب في الشُّقوقِ سُدًى
ومراكِبُنا الورقيَّة في انْتِظار

أحْفُرُ مِرآةً

كلما حفَرْتُ مرآةً في الأرض
صاغَ مَلامحي ظمَأٌ
تَشرَبُ الأرضُ صورَتي
وصَمتي
وفي المَرايا يَنعسُ الصَّدَى

وبَقِيتُ فَردًا

كنتُ ظِلًّا في رَحِمِ غَيمةٍ
هَبَطْتُ مطرودًا بلا وَرقٍ أو عَوْرَةٍ
فقد انْتَفَتْ من فَرْطِ التَوَحُّشِ
لَذَّةَ الشّكلِ
فبَقِيتُ ظِلًّا أسْوَدَ
في أعقابِ أَشكالٍ تَوَحَّشَ ماؤها
ولم تكُ شيئًا مذكورًا
لكنَّها تناسَلَتْ... وبَقِيتُ فَردًا
يقتَسِمُ خُبزَهُ الجَميع

ساقِطٌ من سماءٍ

تسلَّقَتْ قصيدتي سحابةً نائيَةً
لتُوقِظَ مَلَكًا نَسيَ مَوعدَنا على المقهى
في عجلةِ الصَّحْوِ فَقَدَ جَناحَيْهِ الصَّغيريْن
وآلَةَ حِسابٍ يتَهَجَّى بِها الخَطايا
وزَحَفَ هابِطًا فوق قَطرَةِ مَطرٍ...

فِي المقهى كان الدُّخانُ يَستُرُ عوْرَتَه
والقُيودُ تَسبَحُ فوق قَهوَتِنا بِنَكهَةِ الأمانِ
عَبَثًا حاولْتُ إقناعَ قَيدٍ حديديٍّ
أنّ رَفيقي ملاكٌ بلا أَجنحَةٍ
وأنَّ القَصائدَ لا تَستطيعَ السَّيْرَ معَه
حتّى مَخْفَرٍ قَريب
فقال: ألا تَعلَم أنّي ساقِطٌ من سَماء؟

التباس

كأنّني وثنٌ يطلبُ ثأرَهُ من الظلّ
كأنني ظلٌّ وثنٍ آمنَ فجأةً
فاختلَّت موازينُ
وأشباحٌ تفرُّ كلٌّ إلى طريق
وليس من طبيعةِ الأوثانِ انتعال خطىً
وليس من طبيعة الظلالِ الوقوف

بقايا

إلى الفنان أحمد عبد المجيد

غيومٌ تحلبُ نفسَها بنشوةِ الخواتيم
دمٌ يفرُّ من قاتليه في المَيمَنَةِ
وقتلى بلا ملامح في النزعِ الأخير
يتْلُون أورادًا
هذا الغبار فضيحتي ونسَبي
لستُ من هذا اللون ولا اللوحة أُمّي
تقاطعُ طرقٍ بين السماء والأرض ضلّلَني
فتشَظَّيْتُ حتى اشتعلَ الظلُّ مِنّي
في انفجارِ بقعةٍ مَنسيّةٍ
وعُدتُ وحيدًا

هكذا أخبرَتني بقايا اللون
فوق "باليتة" يتيمة
بمرسم يحرّضُ تمثالا ضريرا
على قراءة الشعر
دون أن يُشعل الموسيقى
في تفعيلةٍ راحلة
إلى ميسرةٍ منثورة في لوحة
حِبرُها قصيدة
وشُبّاكُها النبيُّ شاعرها
لكنّ أعضاءه انكَسَرَت
في تفعيلة البدد

هروب الظلّ

حلَلْتُ عُقدةً من ظلّي فارتبَكَت خُطايَ
ونام الضوءُ الذي يحرسُ المنافي
فوق جسرٍ لا يُفضي إلى شيء
ونجونْا أنا وظلّي من إساءةِ التفسير

***

حلَلْت القيد الذي يربطنُي بظلّي
فسقطَ نورٌ كثيرٌ تحت عجلات القطار
ولم تستطعْ المحطةُ الوصولَ إلى شيء
وأنا .. لم أستطعْ الوقوف

***

كلبٌ يحرسُ خيمةَ الخُطى
فيغلقُ الكهفُ حجَراً دوني
كأنه بابٌ، ليمنعَ الصدى
والظلُّ باسِطٌ شيخوختَهُ بالوصيد

***

أعَدْتُ عقدتي إلى مِعصمي
ومشينا أنا وظلّي بلا هدفٍ
سوى إقناع الطريق
بالوقوفِ ولو لمرةٍ واحدة

وَصيّة

أوْصيْتُ ظلّي
ألّا يَقطَعَ طريقَ العابرين بعد أن أموتَ
وألّا يَكتُبَ حَرفًا باسْمِي بعد الرحيلِ
وأن يَبْقَى على الحَافَّةِ كما كُنَّا معًا
ونحن نَصطادُ سَمكًا صغيرًا من ترعةٍ
فابْتسَمَ ولم يَعَقِّبْ، ورَحَلْنا كُلٌّ في اتِّجاه
أنا أَحصُدُ خَيباتٍ مُلوَّنةً
وحصًى في حَقيبةٍ مَثقوبَةٍ،
وهو يغرِسُ ظِلًا آخرَ ليبقَى حتى تعودَ الشّمس

بعد أن يموتَ الظِلُّ

للظلِّ جُثَثٌ تَعيشُ فينا ونَقتَفي أثَرَها
في الجسدِ ظِلالٌ تَنبَحُ
فتَعْوي الرُّوحُ بالصَّمْتِ الأخير
***
بعدَ أن أموت
سيَنْبُتُ لِظِلِّي جَناحان .. ونَطير
***
لم ينَمْ على سريرِ بروست
ولا استسلم لأنامل فرويد
ظلّي برؤوس سبعة، ولا ذيل لي
لكنه ليس شيطانا مستقيلا